

تخليد مقاتل الأولياء في النص القرآني وأثره في واقعة الطف- دراسة تحليلية

د. محسن كامل الخزاعي

كلية القانون/جامعة الكفيل

المقدمة:

تكرّر ذكر مقاتل الأنبياء وأولاد الأنبياء (ع) في القرآن الكريم، وقُرِنَ به ذِكرُ مقاتل الأمرين بالقسط من الناس، كما تكرّر ذكر مقاتل بعض المؤمنين ممن ترسخ الإيمان في قلوبهم، فكان لذكر تفاصيل تلك المقاتل أثرها البارز في نصوص القرآن الكريم بحكم تكرارها في أكثر من مورد من موارد الكتاب العزيز. وإذا كان هذا الذكر قد تكرر في القرآن الكريم بوصفه اثراً من آثار الأمم الغابرة، والأقوام البائدة، وإنّ القتل قد حصل على وجه هذه البسيطة منذ الفجر الأول لوجود البشرية، بوصفه نابعاً من طبع الإنسان الذي جبلت نفسه على الظلم والعدوان، فإنّ التساؤل الذي ينقدح في ذهن الباحث هو: لم ركّز القرآن الكريم على بعض المقاتل دون غيرها من جرائم القتل الكثيرة التي وقعت على وجه الأرض من لدن آدم (ع) إلى يومنا هذا، وبناءً على هذا التساؤل فقد انبثقت في نفس الباحث جملة من الفرضيات والتساؤلات التي يروم التحقق منها في هذا الجهد العلمي المتواضع، وتلك الفرضيات هي:

١. إذا كان مفهوم الخلود قد ورد في الكثير من نصوص القرآن الكريم فهل يقصد منه الدوام والاستمرار إلى الأبد، أم يعني المكوث والبقاء الطويل.
٢. إذا كان القرآن الكريم قد ذكّر ببعض الأيام التي كانت وعاءً لبعض الأحداث التي حدثت في غابر الأزمان فهل الأيام التي تضمنت مقاتل بعض الناس من ضمن تلك الأيام التي أمر الله تعالى نبيه موسى (ع) بالتنكير بها.
٣. إذا كان القتل قد وقع على وجه هذه البسيطة منذ الفجر الأول لوجود الإنسان فهل يعدّ ذكره سُنّةً من سنن القرآن الكريم التي دأب على ترسيخ مفهومها في نفوس الناس.
٤. إذا كان القرآن الكريم قد جاء على ذكر بعض المقاتل فهل يعدّ ذلك كاشفاً عن مكانة المقتول عند الله

تعالى، بوصف أن الناس يتفاضلون فيما بينهم من حيث التقوى والقرب والبعد من الله تعالى.

٥. هل يعدُّ ذكر مقاتل بعض الأولياء ممن اصطفاهم الله تعالى لحمل مسؤولية خلافة الأرض مؤسساً لمشروعية تلاوة مقاتل من مآثلهم فضلاً وشرفاً ومكانة إلى يومنا هذا.

٦. إذا كان ثمة ذكر لمقاتل الأولياء في النص القرآني فهل لهذا الذكر موجباته الموضوعية التي من أجلها أمر تعالى نبيه محمد (ص) بتلاوتها.

وللإيفاء بهذه الفرضيات وهذه التساؤلات العلمية التي تقوم عليها هذه الدراسة بُنيَ البحث فيها على النحو الآتي:

تمهيدٌ عنوانه: (مفهوم التخليد في اللغة والاصطلاح) عرّف الباحث فيه بمفردات العنوان، وفرق فيه بين الخلود والدوام.

أمّا المبحث الأول فكان بعنوان: (موضوعات التخليد ومشروعيته في النص القرآني)، وقد ضمّ ثلاثة مطالب: الأول: كان بعنوان: (مشروعية تلاوة مقتل هابيل في النص القرآني) والثاني: كان بعنوان: (نُدبة اصحاب الأخدود في النص القرآني) والثالث: تناول: (عقر ناقة صالح وتفاصيل مقتلها في النص القرآني).

وأمّا المبحث الثاني فقد جاء على ذكر: (موجبات تخليد مقاتل الأولياء في النص القرآني)، وقد ضمّ ثلاثة مطالب: كان الأول بعنوان: (الافتتان بالكفر وبمقاتل الأنبياء)، فيما تناول الثاني: (بيان حكم الله تعالى فيمن قتل ولياً من أوليائه)، وأمّا الثالث: فكان بعنوان: (فضح أفعال الظالمين والبراءة منهم)، ثم بعد ذلك جاءت الخاتمة التي انطوت على أهم النتائج التي تمخضت عنها الدراسة، تلتها قائمة بأسماء أهم المصادر والمراجع، ومن الله التوفيق.

التمهيد: مفهوم التخليد في اللغة والاصطلاح:

أولاً: التخليد في اللغة:

لمادة (خلد) في معاجم اللغة العربية معانٍ عدّة، فهي تارة تأتي اسماً، وتارة فعلاً، فمن معانيها الاسمية: (الخلد) هو: البال والنفس، فقولك: لم يدُرْ في خَلدي أنك ستخدعني، يعني لم يخطر ببالي أو في نفسي

أو في قلبي، فهو اسمٌ وجمعه أخلاق^(١).

وخلد تأتي بمعنى القرط والسوار، يقال خلد الفتاة أو الفتى، أي زينته بسوارٍ أو قرط، ومنه قوله تعالى: { يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ }^(٢)، "أي مُقَرَّطُونَ بالخلدة وهي جماعة الحلبي"^(٣)، وقال الشاعر:

وَمُخَلَّدَاتٌ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا أَعْجَازُهُنَّ أَقَاوِرُ الْكُثْبَانِ^(٤)

وفي حال جاءت فعلاً فلا تكون إلا فعلاً لازماً يتعدى إلى مفعوله بحرف جرٍّ، فخلدَ (فعلٌ)، وفي حال تعدى إلى مفعوله بحرف الجر (للام)، كقولك: خلدتُ للنوم، إذا استلقيت على فراشك، وخلدَ فلان للراحة، فتكون بمعنى مال وسكن واطمأن إليها، وفي حال تعدى إلى مفعوله بحرف الجر (الباء)، كقولك: خلدَ فلان بالمكان، بمعنى أقام ومكث فيه طويلاً واستقرَّ به زمناً بعيداً^(٥)، وإذا تعدى بحرف الجر (إلى)، كقولك خلدَ إلى الأرض، "إذا لصقَ بها، قال تعالى: {وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ}"^(٦)،^(٧).

وكذلك يتعدى بحرف الجر (في)، كقوله تعالى: {وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا}، وقول العرب: خلدَ في الناس بمآثره، وهو بذلك يعني الدوام والبقاء، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}^(٨)، "أي دائماً فيها وله عذاب مهين"^(٩)، وقوله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}^(١٠).

ويسمى العرب الرجل الذي لم يظهر عليه الشيب إنه مُخلدٌ، قال ابن منظور: "ويقال للرجل إذا بقي سواد رأسه ولحيته على الكبر: إنه لمخلد"^(١١)، وكذلك الرجل الذي لم تسقط أسنانه من الهرم^(١٢).

ثانياً: التخليد في الاصطلاح:

يظهر من كلام أهل اللغة أنَّ أبرز معاني مادة (خلد) هو البقاء والمكوث الطويل، وقد استعمل في معنى الدوام والبقاء مجازاً؛ لأنَّ معنى البقاء: "هو استدامة حالة سابقة في وقتين فصاعداً، ويقابله النفاذ، أمَّا الدوام فهو استمرار البقاء في جميع الأوقات، وبهذا يفترق الخلود عن الدوام والبقاء، فالخلود يعني: "استمرار البقاء من وقت مبتدأ معين، فهو لزوم مستمر"^(١٣)، لذا يقال لله تعالى دائم الوجود ولا يقال له خالد الوجود^(١٤)، فمن اسمائه تعالى: الدائم، وليس من أسمائه الخالد.

وبعبارة أخرى فالخلود هو: "تبرئ الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها، وكلما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود كقولهم للأثافي خوالد، وذلك لطول مكثها لا لدوام بقائها"^(١٥).

ثم استعير معنى الخلود للمعنى الذي يبقى دائماً، فكان منه معنى الخلود في الجنة، والخلود في النار، قال تعالى واصفاً أهل الجنة: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ^(١٦)، أي لازمون للجنة على نحو الدوام^(١٧)، وقال في شأن أهل النار: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ^(١٨) بمعنى أنهم ملازمون للنار على وجه الخلود والتأبيد^(١٩).

فالخلود في الأصل هو للشيء الذي يبقى مدةً طويلة، لكنه استعمل في القرآن الكريم بمعنى البقاء الأبدي، لذا وصف أهل الجنة بأنهم خالدين فيها، وبعض اصناف اهل النار كذلك، وكذلك وصف الولدان في قوله تعالى: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ} ^(٢٠)، أي لا يعترتهم الفساد أبداً^(٢١).

وعليه إذا كان الخلود معناه المكوث والبقاء الطويل فهذا يعني أن ما ذكره القرآن الكريم من احداث مست حياة الأنبياء والأولياء (ع) والمؤمنين خالدة لا يعترتها الفساد؛ بفضل خلود القرآن الكريم، فما من أمر ذكره القرآن الكريم ينطوي على العظة والعبرة إلا وُخلد؛ لأنه يملك مقومات البقاء والاستمرار والخلود ما بقيت الدنيا.

المبحث الأول: موضوعات التخليد ومشروعيتها في النص القرآني:

مدخل:

إنَّ تَخْلِيدَ الاحداث والوقائع المرتبطة بالأنبياء والأولياء (ع) وتذكرها يُعدُّ تذكيراً بأيام الله تعالى، التي أمر تعالى نبيه موسى (ع) بالتذكير بها في قوله جلّ وعلا: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}، وهي الأيام التي ظهرت فيها آيات الله "كيوم الموت الذي يظهر فيه سلطان الآخرة وتسقط فيه الأسباب الدنيوية عن التأثير، ويوم القيامة الذي لا تملك فيه نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله"^(٢٢)، وعليه يمكن تمييز الأيام نسبة إلى الحوادث التي حدثت فيها، "ويمكن أن يكون منها أيام ظهرت فيها النعم الإلهية ظهوراً ليس فيه لغيره

تعالى صنع، كيوم خروج نوح (ع) وأصحابه من السفينة بسلام من الله وبركات، ويوم انجاء إبراهيم من النار، وغيرهما، فإنها أيضا كسوابقها لا نسبة لها في الحقيقة إلى غيره تعالى^(٢٣).

من هذا المنطلق يمكننا القول أن لا يوم أكثر بركة على الناس من يوم ولادة النبي (ص)، ويوم بعثته، ولا يوم أعظم من يوم بدر ويوم حنين، ولا يوم أعظم من يوم قال عنه تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ}^(٢٤)، فكل هذه الأيام وغيرها يمكن نسبتها إلى الله تعالى، وأحياؤها يعد من سنن القرآن الكريم، لتكون شاخصة في اذهان الناس ولتصبح آية لكل صابر شكور.

وقد كان من بين الأيام التي خلدها القرآن الكريم: تلك التي تضمنت مقاتل الأنبياء والأولياء والصالحين (ع)، لذا نجده يذكر بعض تلك المقاتل بشيء من التفصيل، إذ تعددت موضوعات المقتل في القرآن الكريم واتخذت صوراً واشكالا مختلفة، فتارة نجده يأمر نبيه محمداً (ص) بتلاوة مقتل ابن آدم (ع)، وتارة يندب مجموعة من الأولياء قضا حرقاً على يد الظالمين، وأخرى يذكر تفاصيل مقتل ناقة وينتقم لها بهلاك الفاعل والراضي معاً، وعليه سوف يتناول البحث هذه العنوانات بشيء من الايضاح والتفصيل. أولاً: مشروعية تلاوة مقتل هابيل في النص القرآني:

من القصص المعبرة والمثيرة في القرآن الكريم قصة ولدي آدم (ع)، التي جرت أحداثها منذ الفجر الأول لوجود الانسان على وجه الأرض، وقد سجلت أحداث تلك القصة نهاية مروعة ومؤلمة انتهت بصراع أحد الأخوين على يد الآخر، وقد ذكر سبحانه وتعالى تفاصيل هذه القصة في موضع واحد من كتابه العظيم، وهو قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ}^(٢٥)، أي اقرأ يا محمد على اليهود قصة ولدي آدم وما رافقها من أحداث دامية، "ولعلَّ استخدام (بالحق) جاء للإشارة إلى أنَّ القصة المذكورة قد اصابتها خرافات مختلفة، ولبيان أنَّ القرآن الكريم جاء

بالقصة الحقيقية^(٢٦).

ومما يكشف أن القصة أصابها التحريف والتشويه ما نقلته روايات العامة التي تصدّت لبيان مبدأ التناسل وامتداد النوع البشري، التي اشارت بمجملها إلى أن منشأ النزاع الذي دار بين قابيل وهابيل هو الحسد الذي انتاب قابيل بعد أن اختار له آدم (ع) الأجل من أخواته^(٢٧)، مع أن القرآن الكريم لم يذكر شيئاً من هذه التفاصيل التي تتعلق بمنشأ النزاع، ولا حتى نوع القران الذي قدماء، ولا كيفية القبول من الله تعالى. وفي قبال هذه الروايات فقد افادة روايات اتباع مدرسة أهل البيت (ع) أن منشأ الخلاف بين ولدي آدم (ع) إنما وقع نتيجة تسنم هابيل منصب الخلافة، وتسلمه مواريث النبوة من أبيه، الأمر الذي أدى إلى امتعاض قابيل وتفاقم غريزة الحسد في نفسه، وحتى يبرهن له آدم (ع) أن ذلك من أمر الله تعالى أمر أن يقرب كل منهما قرباناً لله تعالى، فقد روى العياشي في تفسيره عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله (ع): "ان الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم (ع) ان يدفع الوصية واسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر منه فبلغ ذلك قابيل فغضب فقال: أنا أولى بالكرامة والوصية، فأمرهما أن يقربا قرباناً بوحى من الله ففعلا، فقبل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله"^(٢٨).

وعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: "لما أوصى آدم (ع) إلى هابيل حسده قابيل فقتله فوهب الله لآدم هبة الله وأمره ان يوصي إليه"^(٢٩)، وما إلى ذلك من الروايات التي تعرضت لمنشأ النزاع بين ولدي آدم (ع)، كما في كتاب (الكافي) وغيره^(٣٠).

الأمر الذي يكشف أن القول بزواج الأخوة من الأخوات باطل ومردود من جهات، ويكفي في بطلانه أنه لم يقد دليل معتبر عليه، إذ إن من الثابت حرمة الزواج من الأخوات في الديانات السماوية السابقة كافة؛ لأنه من الأمور المستبحة، فضلاً عن أنه لم يجر في ديانة سماوية سابقة، بوصف أن ذلك من الأصول الثابتة في الشرائع كافة لا يتدخل فيها الزمان ولا المكان؛ لأن مصدر هذه الشرائع واحد هو الإسلام الذي هو دين الأنبياء جميعاً، لقوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}، وقوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}، مما يعني أن الإسلام هو دين جميع الأنبياء الذين كانوا مسلمين بطبيعة الدعوة التي حملوا لواءها.

فَنُوحَ كَانَ مُسْلِمًا وَقَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ: {وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، وإبراهيم كان مسلماً: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} وفي آية أخرى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} فالدين الذي اصطفاه الله لأولاد إبراهيم هو الإسلام، أما يعقوب فقد أخذ على ولده ميثاقاً قبيل موته أنهم مسلمون باقون على الإسلام: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}، وموسى كان مسلماً حاملاً رسالة الإسلام لقومه: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ}، بل حتى فرعون نفسه أدرك أن الدين هو الإسلام فنطق بكلمة التوحيد، وأعلن أنه مسلم، قال تعالى حكاية عنه: {حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، وسليمان كان مسلماً داعياً إلى الإسلام، فقد كان نص خطابه إلى بلقيس: {إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ}، وحين اقتنعت بدعوة سليمان: {قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ويوسف كان مسلماً إذ دعا ربه أن يتوفاه على الإسلام: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} والحواريين قالوا: {وَأَشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ}.

الأمر الذي يكشف بجلاء أن الدين واحد وأصوله واحدة، بل أن بعض الفروع واحدة أيضاً، مثل الصلاة، والزكاة، والصيام، والركوع والسجود، وبرُّ الوالدين، ولم تكن هذه الفروع من مختصات الشريعة الإسلامية فحسب، لذا قال تعالى في الصلاة والزكاة: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}، وقال حكاية على لسان عيسى (ع): {وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا} وقال على لسان قوم شعيب: {قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا}، وهذا يعني أن الصلاة والزكاة قد شرعت في الديانات السابقة، وكذلك الصوم لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، وبرُّ الوالدين، لقوله تعالى حكاية عن عيسى (ع): {وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا

شَقِيًّا^(٣١)، وقال تعالى على لسان يحيى (ع) قال: **لَوَبَّرَ بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا**^(٣٢)، وما إلى ذلك من الآيات.

فهل يعقل أن تفرض هذه الأمور في الشرائع السابقة، ويباح نكاح الأخوات الذي هو من الأمور المستقبحة التي لا يتصور أن يأتي زمان أو يوجد مكان يحكم فيه بجواز نكاح الأخت، الأمر الذي حدا بالإمام الصادق (ع) أن ينكر ذلك بشدة مستبعداً حصوله بقوله: "سبحان الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً، من يقول هذا إن الله عز وجل جعل أصل صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطاهر الطيب"^(٣٣)، ثم قال (ع): "وهذا نحن قد نرى منها هذه الكتب الأربعة المشهورة في هذا العالم: التوراة والإنجيل والزيور والفرقان، أنزلها الله عن اللوح المحفوظ عن رسله صلوات الله عليهم أجمعين، منها التوراة على موسى (ع) والزيور على داود (ع) والإنجيل على عيسى (ع) والقرآن على محمد (ص) وعلى النبيين (ع) ، وليس فيها تحليل شيء من ذلك"^(٣٤)، وقد استند (ع) في استنباط عدم حصول ذلك الزواج من خلو تلك الكتب وتلك الشرائع منه.

وببطلان هذا القول يتعين أن الله تعالى قد انزل لهم زوجات من الحور بحسب ما تشير إليه روايات أهل البيت (ع)، وليس مهمة البحث استقصاؤها والبحث عنها، فمن شاء فليراجع موسوعتنا الحديثية ليجد الكثير من تلك الروايات^(٣٥).

ومهما يكن من أمر فإنَّ القتل قد تعقَّب قبول قربان هابيل، بدلالة قوله الله تعالى: **فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**، ويبدو أنَّ الآية بصدد بيان المشهد الأخير من مشاهد النزاع الذي وقع بين الأخوين، إذ يستظهر من الآية أنَّ ثمة نزاعاً كان قد سبق اللجوء إلى تقديم كلٍّ منهما قربانه، فكان تقديم القربان بمثابة المباهلة التي تحسم النزاع وتفصل الخصومة بينهما، غير أنَّ قبول قربان هابيل أدَّى إلى تفاقم غريزة الحسد في نفس قابيل فعمد إلى أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين.

وتعدُّ هذه الحادثة أول حادثة قتل وقعت على وجه البسيطة، فمنذ الفجر الأول لوجود الإنسان، ومنذ أن

كانت الأسرة تتكون من أربعة افراد تفاقمت غريزة الحسد عند أحد الأخوين فتوعد أخاه بالقتل، ليمثل ذلك حدثاً عظيماً وجسيمياً خلده القرآن الكريم على الرغم من مضي آلاف السنين، ليحوّله إلى مصدر لأخذ العظة والعبرة عبر الأجيال.

وبملاحظة هذه القطعة التاريخية في القرآن الكريم يستخلص المتلقي مجموعة من التفاصيل يمكن ترجمتها إلى النقاط التالية:

١. إن كلاً من الأخوين قرب قرباناً بهدف حسم النزاع القائم بينهما، وهو المشار إليه بقوله تعالى: {وَأَنلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا}.

٢. حظي أحد القريانين بالقبول وذلك لخلوص نية صاحبه، لكن لم يبين القرآن الكريم ماهية القريان ولا كيفية تقبله، وإنما أخبر أن الله تعالى تقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، وهو قوله تعالى: {فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ}.

٣. جعل القرآن الكريم قبول العمل يدور مدار التقوى، لذا لم يحظ الأخ الآخر بقبول قربانه لعدم تقواه، وهو ما أعرب عنه الأخ المؤمن، قال تعالى حكاية عنه: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

٤. أدى عدم قبول القريان إلى تفاقم غريزة الحسد التي دفعت الأخ الثاني أن يتوعد أخاه بالقتل، وقد حكى ذلك القرآن الكريم إذ قال: {قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ}.

٥. ومن التفاصيل الأخرى التي ذكرتها القصة أن الأخ المؤمن لا يبادل أخاه الاعتداء خوفاً من الله تعالى واستشعاراً لرقابته إياه، وهو قوله تعالى: {لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ}.

٦. يُذكر الأخ المؤمن أخاه بأثر من آثار القتل وهو انتقال ذنوب المقتول إلى القاتل، ومن ثم النار في الآخرة، وهذا ما حكاه القرآن بقوله: {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}.

٧. إن الأخ العاصي لم يكثرث لكثرة النصائح ولم يستجب لنداء العقل فكان يتصرف بوحى من هوى نفسه، فأقدم على قتل أخيه فخرس الدنيا والآخرة، قال تعالى في ذلك: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ}

فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

٨. احتار القاتل بكيفية دفن المقتول لأن ذلك لم يكن معهوداً ومعروفاً له فتعلم كيفية الدفن من الغراب وهو قوله تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ}.

٩. الندم يتملك الأخ القاتل بعد ان طوعت له نفسه قتل أخيه، فقد اوضح حالة الندم في نفس قابيل بقوله: {قَالَ يَا وَيلَتَا أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} (٣٦).

هذا ما يكمن استخلاصه من تفاصيل هذه القصة، وهي أن دلت فإنما تدل على تخليد مقتل من مقاتل أولياء الله تعالى، "وأول ما يمكن أن يقال أن هذا الذكر والتكرار والبقاء على المقتل هو سنة من سنن القرآن الكريم" (٣٧)، بل أن القرآن الكريم أمر نبيه محمد (ص) بتلاوة الحق من هذا المقتل بقوله: {وَأَنْتُمْ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ}، ومعلوم أن (أنتل) صيغة أمر، تفيد الطلب، الذي أقل مراتبه الاستحباب، "اعلاماً لهم بأن ما هو الموجود عندهم باطل، وارشاداً لهم بأنه لا يمكن لأحد القول في ذلك إلا بوحى إلهي" (٣٨).

ومما تجدر الإشارة إليه أن مادة (تلو) تأتي في اللغة بمعنى (تبع)، فتلا الشيء تبعه تلواً (٣٩)، ومنها التلاوة لمتابعة الكلمات التي يتلو بعضها بعضاً، ومعنى ذلك أنهم يقرؤون ذلك النبأ ويتبعونه، واللافت في القصة أن القرآن الكريم عبّر عن ذلك الحدث بـ (النبأ)، "والنبأ: هو الخبر الذي له شأن من الفائدة والجدارة بالاهتمام، فلا يقال لكل خبر نبأ" (٤٠)، مما يكشف أن مقتل هابيل كان جديراً بالاهتمام لما يتضمنه هذا النبأ من مشاهد اتسمت بالفضاعة والفداحة ما جعل القرآن الكريم يعبر عنه بالنبأ.

وللباحث ان يتساءل: أن لو ترجمت مضامين هذه الآيات بكل ما ذكرته من تفاصيل بلغة أخرى، كلغة الشعر والنثر مثلاً، أو بطريقة المقتل المعهودة والمعروفة عند اتباع مدرسة أهل البيت (ع) في أيام عاشوراء وغيرها من مناسبات أئمة أهل البيت (ع) وانشدت في المحافل والمجالس، فهل يعد ذلك من الشرك بدعوى أن مثل هذه الممارسات لم تكن في زمن النبي (ص)، وهل يعقل أن ذكر مثل هذه التفاصيل في المحافل والمجالس يستلزم الكفر والخروج من الدين، أم هل يعقل أن يقال إن هذه التفاصيل قطعة من التاريخ لا داعي لذكرها لأنها حدثت قبل آلاف السنين، وأنها لا تجرّ لا أجراً ولا ثواباً.

وفي مقام الإجابة نقول: إنَّ عدم وجود مثل هذه الممارسات في زمن النبي (ص) ليس دليلاً على أنَّها شركاً كما يدعي بعض المسلمين الذي تطرف في رأيه وعدَّ حتى الاحتفال بمولد النبي شركاً^(٤١)، بل لا تعدُّ حتى بدعة، "إذ لو نُسبَ إقامة الاحتفالات التكريمية أو مجالس العزاء في الذكريات إلى الشارع المقدس وادعي بأن الشارع أمر بذلك يلزم أن نفحص عن مدى صحة هذه النسبة وصدق هذا الادعاء لا أن نصف إقامة هذه المجاس بأنها شرك"^(٤٢)، وقد تبين أن تخليد مقاتل الأنبياء والأولياء (ع) سنة من سنن القرآن الكريم، لقوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ}.

وقد نص الأصوليون والفقهاء على قاعدة هامة مفادها: "أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" وعليه ومن هذا المنطلق بالذات نقول: إنَّ الحسين (ع) أشرف وأكرم من هابيل فيكون ذكر ما جرى عليه من أحداث وترجمتها على صيغة المقتل أولى بمراتب من ذكر ما جرى على هابيل، علماً بأنَّ هناك آيات كثيرة ظاهرة في استحباب تلاوة ما دون ذلك من المصائب الحالة بالأنبياء والأولياء (ع)، التي سيعرض لها البحث في المطالب اللاحقة.

كما أنَّ العقل يقطع بأنَّ حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، وعليه فإذا جازت تلاوة مقتل هابيل (ع) جاز كذلك في من ماثله، فكيف - والحال هذه - بمن فاقه شرفاً ونسباً ومنزلةً، وهو سيد شباب أهل الجنة، ألا يحكم الوجدان بمشروعية تلاوة ما جرى له ولعياله من مصائب اقشعرَّ لها العرش وبكت لها السماء دماً وتراباً أحمرأً، بحسب ما ذكرت ذلك كتب العامة والخاصة التي تعرضت للظواهر الكونية التي حدثت بعد مقتل الحسين (ع)^(٤٣).

ثانياً: ندبة أصحاب الأخدود في النص القرآني:

من الشواهد الحية في القرآن الكريم على تخليد مقاتل الأولياء والمؤمنين ذكره لتفاصيل مقتل اصحاب الاخدود في سورة البروج، فقد استعرضت السورة تفاصيل مقتل اشخاص غير معروف في الهوية، قال تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}^(٤٤)، وقد اختلف المفسرون في تفسير أصحاب الأخدود على وجهين:

فالوجه الأول من التفسير: يكون بمعنى الدعاء واللعن، فقوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ} نظير قوله تعالى: {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (٤٥)، وقوله تعالى: {قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ} (٤٦)، وهذا يعني أن المقصود من أصحاب الأخدود في الآية المباركة هم القاتلون.

أما الوجه الثاني: فيكون بمعنى الاخبار، أي أن المقصود من أصحاب الأخدود أولئك نفر من المؤمنين الذين قُتِلُوا حرقاً بالنار لا لشيء إلا لأنهم مؤمنون (٤٧).

ومهما يكن من امر فإنَّ القدر المسلّم به أنَّ الظالمين حَفَرُوا خندقاً عظيماً واضرموه بالنار وأوقفوا المؤمنين على حافة الخندق وطلبوا منهم ترك إيمانهم والرجوع إلى الكفر ومن رفض القي في الأخدود المضطرم بالنار حياً (٤٨).

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ السورة تبدأ بأربعة اقسام هي قوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} (٤٩)، ليأتي بعدها جواب القسم وهو: مقتل مجموعة من المؤمنين بالله تعالى وبدعوة انبيائه (ع)، وإذا تأملنا الحادثة نجد أنها تذكر التفاصيل التالية:

١. مقتل جماعة من المؤمنين، وهذا ما أنبأ به القرآن الكريم بقوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ}، بحسب الرأي القائل إنَّ أصحاب الأخدود هم المؤمنون الذين قضوا حرقاً على يد الظالمين.

٢. مكان الجريمة شقٌّ كبير، لأنَّ الأخدود هو الشق العظيم في الأرض (٥٠).

٣. آلة القتل المستعملة هي النار التي تملأ ذلك الشق العظيم، وهي المشار إليها في قوله تعالى: {النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ}، ووصفه تعالى للنار بذات الوقود للدلالة على عظمة أمرها وشدة لهيبها.

٤. الطغاة على اطراف النار ينظرون إلى تعذيب المؤمنين ويسمعون صراخهم وآلامهم، وقد أخبر تعالى عن ذلك المشهد بقوله: {وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ}.

٥. ثمَّ يبين القرآن الكريم أنَّ المؤمنين لا ذنب لهم سوى أنَّهم مؤمنين، قال تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (٥١).

هذه خلاصة تفاصيل هذه الحادثة التي إن دلت هي الأخرى فإنما تدلُّ على تخليد القرآن الكريم لقصة فداء تكررت في تاريخ دعوات الأنبياء (ع) واتباعهم من المؤمنين، وتلاوة لموقفٍ تضحية في سبيل الدين

سُطِّرَ بدماء ثلثة من المؤمنين الذين ضربوا أروع الأمثلة في الصمود والثبات على المبادئ التي جاءت بها رسالات السماء، فكان من الله تعالى أن خَلَّدَ مصارعهم في كتابه الكريم، وشَتَّعَ على قاتليهم فعلتهم النكراء.

ولا يجد الباحث المنصف حين يتأمل تفاصيل مقتل اصحاب الأخدود فرقاً بينه وبين مصارع نخبة من الشهداء ممن دأب أتباع أهل البيت (ع) على تخليد مقاتلهم من امثال شهداء مرج عذراء، فإنَّ مصارعهم تماثل مصارع أصحاب الأخدود، ومما يؤكد تماثل الحادثتين قول أمير المؤمنين (ع): "يا أهل الكوفة سيقُتل منكم سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود"^(٥٢)، ثم قرأ في تتمة هذا الخبر قوله تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}، وعلي (ع) لا يقول مثل هذا إلا يكون سمعه من رسول الله (ص) على حدِّ تعبير الاصبهاني في دلائل النبوة^(٥٣)، الأمر الذي يكشف بوضوح أنَّ القرآن الكريم أسَّس لمشروعية قراءة مقاتل المؤمنين وسرد تفاصيلها على مسامع الاجيال لتبقى شاخصة في اذهانهم إلى يوم يلقونه.

وعلى هذا الاساس ينطلق اتباع أهل البيت (ع) بتلاوة مقتل الحسين (ع) والثلثة المؤمنة من اصحابه، ويذكرون تفاصيل ما جرى عليه وعلى ابنائه واصحابه على غرار ما جاء به القرآن الكريم، إذ يرى الباحث أنَّ ثمة تسامخاً بين قوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ}، وقول الشاعر: "قتل الحسين فادمعي مدرار"^(٥٤)، مع حفظ الفارق بين كلام الباري جلَّ وعز وقول الشاعر؛ لأنَّ كلام الله تعالى لا يقاس به كلام، غير أن المؤدى واحد، والمعنى واحد، وهو ندبة القتل الذي قضى فداءً لدين الله تعالى.

ثالثاً: عقر ناقة صالح وتفاصيل مقتلها في النص القرآني:

إذا كان القرآن الكريم قد خَلَّدَ مصارع الأنبياء الأولياء والصالحين (ع) بشيء من التفصيل فإنَّ اللافت هذه المرّة في سورة (الشمس) أنَّ الحديث فيها لم يكن عن قتل وليٍّ من أولياء الله تعالى، ولا عن مؤمن من المؤمنين، وإنَّما الحديث عن مقتل ناقة، لكنَّ هذه الناقة مرتبطة بالله تعالى، فهي: {نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا}^(٥٥)، كما أنَّها آية من آيات الله الكبرى، قال تعالى عنها في سورة (هود): {وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ}^(٥٦)، وقال عنها في سورة (الاعراف): {هَذِهِ

نَاقَةَ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ^(٥٧)، وعليه فلم تكن ناقة عادية، "بل كانت معجزة تثبت صدق نبوة صالح، ومن خصائصها - كما في الرواية المشهورة - أنها خرجت من قلب صخرة في جبل لتكون حجة على المنكرين"^(٥٨).

وما يلاحظ في سورة الشمس أنها من أكثر سور القرآن الكريم تكراراً للقسم، إذ تكرر القسم فيها لسبع مرات، قال تعالى: {وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاها وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ كَدَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا^(٥٩)، فهذه سبعة أقسام "ما يدل على وجود شيء مهم يريد سبحانه إلفات النظر إلى أهميته"^(٦٠)، وتأكيد، وهذا الشيء المهم هو مقتل الناقة، فقد قال تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا^(٦١)، وبملاحظة هذه القصة تتجلى لنا التفاصيل التالية:

١. إنَّ تكذيب قوم صالح (ع) كان سببه الطغيان، وهو قوله تعالى: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا}.
 ٢. انبعث اشقى ثمود (قدار بن سالف) لعقر الناقة وهو ما حكاه القرآن الكريم بقوله: {إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا}.
 ٣. ومن تفاصيل هذه القصة أيضاً وصية نبي الله صالح (ع) لهم بعدم عقر الناقة، وتذكيره إياهم بحصتها من السقي، وهو قوله تعالى: {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا}.
 ٤. تكذيبهم لصالح (ع) ومن ثمَّ عقر الناقة، قال تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}.
 ٥. نزول العذاب عليهم بسبب فعل البعض ورضى البعض الآخر فعمهم العذاب جميعاً، لذا قال عنهم: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا}.
 ٦. بيّن تعالى أنه لا يخاف تبعه من مطالبٍ بثأرٍ بعد العذاب الذي انزله عليهم، وهو قوله تعالى: {وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا}، أي لا يخاف تبعات العذاب الذي انزله عليهم^(٦٢).
- فإذا كان القرآن الكريم خلّد مقتل ناقة لا شيء إلا لأنها آية سيقّت لإثبات نبوة صالح (ع) فما بالك - والحال هذه - بمقاتل الأنبياء والأولياء والأمّرين بالقسط من الناس، إلا يكون تخليد مقاتلهم أولى بمراتب من تخليد مقتل ناقة صالح (ع)، ثمَّ ألا يؤكد ذلك بنحوٍ لا يقبل الشك أن تلاوة المقتل وعامة الاحداث

التي مرّت بالأنبياء والأولياء (ع) سنّة من سنن القرآن الكريم. وعليه ومن هذه السنة القرآنية بالذات ينطلق أتباع مدرسة أهل البيت (ع) في تخليد واقعة الطف، مستمدّين ذلك من القرآن الكريم الذي أسس لمشروعية تلاوة المقاتل وغيرها من الأحداث الحالة بالأنبياء والأولياء (ع)، فتكرار ذكر مقتل ناقة صالح (ع) في القرآن الكريم قد تكرر على لسان الحسين (ع) يوم الطف، وهو أن دلّ فإنّما يدلّ دلالة واضحة على صلة تلك الحادثة بأحداث يوم عاشوراء، فقد قال بعد مصرع ولده عبد الله الرضيع: "اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح"^(٦٣)، ووجه الحكمة في استشاده بحادثة مقتل ناقة صالح (ع) وفصيلها يكمن في تشابه الدوافع الإجرامية لكلا الأمتين، وحالة الأذى والام التي نزلت بالفصيل حينما رأى قتل أمه بعينه.

وإذا كان القرآن الكريم قد قصّ علينا مقاتل الأولياء والمؤمنين بعد حدوثها، فقد قصّ رسول الله (ص) نبأ مقتل الحسين (ع) وبكاه قبل أن يُقتل، وحثّ على نصرته، فعن انس بن الحارث وهو احد شهداء كربلاء قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: "إنّ ابني هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره"^(٦٤)، وما إلى ذلك من الاخبار الكثير التي استقصاها الشيخ الأميني في كتابه (سيرتنا وسنتنا)، إذ ليس البحث بصدد نقلها وجمعها، بقدر ما يروم اثبات مشروعية ما يفعله اتباع أهل البيت (ع) من البكاء والجزع وإقامة المآتم والعزاء على سيد الشهداء (ع)، ويروم ربط تلك الممارسات بما يماثلها من أحداث جرى ذكرها في القرآن الكريم. وفي الوقت نفسه يحاول دفع تهمة الشرك التي يرمى كل من بكى ميّتاً أو أقام له العزاء بدعوى أنّ ذلك من عمل الجاهلية، مستدلين بما رواه البخاري وغيره من أنّ رسول الله (ص) قال: "ليس منّا من لطم الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية"^(٦٥)، فذلك ما لا ينسجم وكثرة النصوص القرآنية التي انطوت على ذكر الكثير مصائب الأنبياء والصالحين (ع)، وأسست لمشروعية استذكار ما حلّ بهم من مصائب وآلام.

المبحث الثاني: موجبات تخليد مقاتل الأولياء في النص القرآني:

مدخل: أگد القرآن الكريم على بعض الاحداث التي حدثت في الأمم السابقة لعلم الله تعالى بأنّ ثمة أجيالاً من هذه الأمة سوف تمرّ بنفس الاحداث التي مرّت بها أجيال من سبقهم من الأمم، وأنّ أجيالاً من هذه

الأمّة سنقف من دينها وعقيدتها مواقف شبيهة بمواقف تلك الأمم، فعرض تعالى لها بعض الاحداث المصورة من تاريخ الأمم الغابرة؛ لتكون لها عظة وعبرة، قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (٦٦).

ومن أبرز الاحداث المستخلصة من اخبار تلك الأمم والأقوام البائدة حديث القرآن الكريم عن أولئك الذين تتكّبوا طريق الهداية، ولم يهتدوا بهدي الأنبياء (ع) والآخرين بالقسط من الناس، فجدوا نعم الله تعالى عليهم، إذ كفروا بآياته، وقتلوا انبياءه، ونقضوا عهده وميثاقه، ليدرك هذا الجيل أنه ليس بمعزل عن تلك الأحداث، وإنما هو على سنن من كان قبله شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى قال رسول الله (ص): "للتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموه" (٦٧)، وفي رواية أخرى قال: (ص): "التركين سبيل من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة لا تخطؤون طريقهم ولا تخطئ شبر بشبر وذراع بذراع وباع بباع" (٦٨)، لذا عمد القرآن الكريم إلى عرض تجارب السابقين من لدن آدم (ع) إلى زمن نبينا محمد (ص) ليقدمها زاداً سائغاً، ورصيذاً فكرياً ضخماً لهذه للأمّة؛ لتكون على بيّنة من أمرها وهي تنزود بذلك الزاد، وتتهل من ذلك الرصيد المتنوع من القصص والأخبار.

وكل ذلك يندرج ضمن موجبات ذكر أخبار الأولين التي يأتي في مقدمتها ذكر المصائب الحالة بالأنبياء والأوصياء والصديقين (ع) نظراً لاقتران تلك المصائب بالكفر بالله تعالى تارة، ونقض العهود والمواثيق تارة أخرى، فضلاً عن بيان القرآن الكريم لحكم الله تعالى فيمن قتل ولياً من أوليائه، وسوف يعرض البحث لهذه الموجبات تباعاً.

أولاً: الاقتران بالكفر وبمقائل الأنبياء (ع):

أكد القرآن الكريم أن قتل أي نفس من نفوس البشر بقطع النظر عن مكانتها تعني قتل الناس جميعاً لقوله تعالى: {مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} (٦٩)، إلا إذا كان ذلك القتل لقصاص أو فساد في الأرض كما أخبر تعالى.

الأمر الذي يكشف أن القرآن الكريم ينظر إلى المجتمع أنه كيان واحد، وأعضاؤه كأعضاء الجسد الواحد، وإن أي ضرر يصيب أحد أعضائه يكون أثره واضحاً بصورة أو بأخرى في سائر الأعضاء، ولأن

المجتمع البشري يتشكل من الأفراد، لذلك فإنَّ فقدان أيِّ فردٍ منهم يعتبر خسارة للجميع الإنساني الكبير، لأنَّ هذا الفقدان يترك أثراً بمقدار ما كان لصاحبه من أثر في المجتمع، لذلك يشمل الضرر جميع أفراد المجتمع^(٧٠)، بمعنى أنَّ استباحة أيِّ دمٍ حرَّم الله تعالى استباحته يعني استباحة النوع البشري بأجمعه. كما أنَّ القتل يعمل على اشاعة روح العداوة والبغضاء في نفوس الناس، فضلاً عن أنَّه يؤدي إلى سنِّ سنة القتل، لذا ورد في بعض روايات العامة والخاصة أنَّ قتل أي نفس يقع بعض وزرها على ابن آدم (ع) بوصف أنَّه أول من سنَّ سنَّة القتل بين الناس، لذا قال رسول الله (ص): "لا تُقْتَلُ نفسٌ ظمأً إلاَّ كان على ابن آدم الأول كفلٌ منها"^(٧١).

وقد عدَّ القتل من أكبر الكبائر التي توعَّد الله تعالى القاتل بأنواع العقوبات، كل واحدة أعظم من الأخرى، فلغنه وطرده من رحمته، وانزل غضبه عليه، وجعل مثواه جهنم خالداً فيها، قال تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}^(٧٢).

ومما لا شكَّ فيه أنَّ جريمة القتل تزداد شناعةً وفظاعةً كلما كانت النفس المقتولة ذات شأن ومكانة عند الله تعالى، فقتل المؤمن ليس كقتل غيره، فمن قتل مؤمناً لإيمانه كان جزاءه جهنم خالداً فيها، وقتل الأولياء ليس كقتل سائر الناس من المؤمنين؛ لأنَّه يستلزم الكفر والخروج من الدين والملة، بوصف أنَّ مقاتل الأولياء والصدِّقين بمصاف مقاتل الأنبياء (ع)، وهذا ما اثبتته القرآن الكريم، فقد قرن بين الكفر بآيات الله تعالى وبين مقاتل الأنبياء ومقاتل الأولياء (ع)، بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}^(٧٣).

والصفات التي ذكرتها الآية المباركة، وهي: الكفر بآيات الله تعالى، وقتل الأنبياء (ع)، وقتل الأمرين بالمعروف، يمكن نسبتها إلى كل معرض عن الله تعالى ورسوله، بدلالة ما قبلها من الآيات، لذا قال الرازي في التفسير الكبير: "اعلم أنَّه تعالى لما ذكر من قبل حال من يعرض ويتولى بقوله: {وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ}^(٧٤)، أرففه بصفة هذا المتولي فذكر ثلاثة أنواع من الصفات: الصفة الأولى: قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} ... والصفة الثانية: {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ} ...

والصفة الثالثة: {وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ} (٧٥).

ومهما يكن من أمر فالآية واضحة الدلالة على أَنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يأتي بمنزلة الأنبياء والرسل (ع)؛ إذ أنهم يؤدون ذات الوظيفة التي يؤديها الأنبياء (ع) (٧٦)، قال (ص): "من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه" (٧٧)، فلا تقوم شريعة من الشرائع السماوية إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بوصفه سبيل الأنبياء ومنهاج الأولياء، قال تعالى على لسان شعيب (ع): {إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ} (٧٨)، وقال الإمام الصادق (ع): "إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض وتأمين المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمّر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر" (٧٩).

ونظراً لأهمية هذه الفريضة فقد علّل تعالى استحقاق الذين كفروا من بني إسرائيل لللعن والطرده من رحمته بتركهم النهي عن المنكر، بقوله تعالى: {لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} (٨٠).

وإذا كان تعالى قد لعن بني إسرائيل لتركهم هذه الفريضة، فما بالك - والحال هذه - بمن حاربها وحال دون تطبيقها، بل ما بالك بمن عمّد إلى قتل حملتها والساعين بها الذين وصفهم الباري جلّ وعلا بالمفلحين بقوله تعالى: {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، لذا توجب التذكير بمقاتل الأمرين بالقسط بوصفها تحظى بنفس الأهمية التي تحظى بها مقاتل الأنبياء (ع) لقوله تعالى: {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ}.

وإذا كان الأمر كذلك فقد قرن تعالى بين مقاتل الأنبياء (ع) وبين الكفر بآياته بقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ}، وقرن كذلك بين مقاتل الأنبياء (ع)، والكفر بآياته الله، وبين نقض العهود والمواثيق بقوله: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ...}، وهذا يعني أَنَّ مقاتل الأولياء والصدّيقين تماثل تماماً مقاتل الأنبياء (ع)، ولازم ذلك أَنَّها تقتزن بكل ما يقتزن به قتل النبيين بغير حق، وقد سئل رسول الله (ص) عن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة فقال: "رجل قتل نبياً أو

رجلاً أمرَ بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ رسول الله: {وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ} (٨١)، فساوى (ص) بين المقتلين وجعل منهما بدرجة واحدة، وعقابها واحد، مقتفياً بذلك أثر القرآن الكريم الذي توعّد قتلّة الأنبياء والأمّرين بالقسط، "فقد ذكر وعيدهم من ثلاثة أوجه الأول: قوله: {فَيَشْرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ... النوع الثاني من الوعيد قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} ...، النوع الثالث من وعيدهم قوله تعالى: {وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (٨٢).

إذا كان الأمر كذلك فإنّ الثابت لدى المسلمين أنّ العامل الأساس في نهضة الحسين (ع) هو عامل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد روي أنّه كتب وصيته على قرطاس وأودعها عند أخيه محمد بن الحنفية وذكر فيها أبرز أهداف نهضته، إذ قال (ع): "إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جديّ، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن رد علي هذا اصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين ... ثم طوى الكتاب وختمه بخاتمة ثم دفعه إلى أخيه محمد ثم ودعه وخرج من المدينة" (٨٣)، ليؤكد أنّ الإصلاح لا يتم إلا ضمن إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بوصفة سبيل الأنبياء والصدّيقين (ع)، وسبيله الذي قتل من أجله.

الأمر الذي لا يبقى لأحد حجة مهما كان مذهبه أو دينه أن يؤاخذ الإمام الحسين (ع) على ما قام به، لأنّه كان ينطلق من مبدأ قرآني، يحتم عليه الامتثال لواجب شرعي مقدس، لذا نرى أنّ هذا الواجب جعل من مقتل الحسين (ع) بمصاف مقاتل الأنبياء (ع) ورفع كثيراً من فاعلية النهضة الحسينية في نفوس الناس، فإذا كانت البعضية التي أشار إليها رسول الله (ص) بقوله: "حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحبّ حسيناً" (٨٤) لا تجعل مقتل الحسين بمصاف مقاتل النبيين، فقد جعل القرآن الكريم مقاتل الأمّرين بالقسط بنفس الدرجة من مقاتل الأنبياء (ع)، الأمر الذي يجعل من استنكار الحسين (ع)، وندبته أمراً مشروعاً له منطلقاته القرآنية.

ثانياً: معرفة حكم الله فيمن قتل ولياً من أوليائه.

أكد القرآن الكريم في موارد كثيرة أنّ الله تعالى بعث أناساً من خارج منظومة الأنبياء (ع) لحمل مشعل

الهداية، والنهوض بأعباء الخلافة الإلهية، قال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا} ^(٨٥)، وطالوت لم يكن نبياً ولا حتى وصياً، غاية ما في الأمر أنه يمتلك مؤهلات الاصطفاء والبعثة على الصعيد الروحي والعلمي والبدني، وقال سبحانه: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} ^(٨٦)، والخليفة أعم من أن يكون نبياً أو رسلاً، وفي آية أخرى قال عز وجل: {وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} ^(٨٧)، ليبين تعالى أن الملاك في جعلهم أئمة بلوغهم درجة العبودية، وتأتي بقية الملاكات في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} ^(٨٨)، ليبين أن هذا الجعل ناظرٌ بالإضافة لما تقدم إلى ملاكات الصبر في جنب الله تعالى، إلى اليقين الذي يلزم إراءة الملكوت دائماً، لقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} ^(٨٩)، وما إلى ذلك من الآيات التي تبين أن الله تعالى اختار لدينه أناساً يتمتعون بمؤهلات روحية وعلمية وبدنية وهم ليسوا بأنبياء ولا رسل، وهذا يعني أنهم يتمتعون بنفس المكانة التي يتمتع بها الأنبياء (ع).

وإذا كان الأمر كذلك فقد بين تعالى حكمه فيمن قتل نبياً من أنبيائه أو ولياً من أوليائه، قال تعالى: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقَفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاعُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} ^(٩٠)، فتوعد قاتليهم بأنواع العذاب، فقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} ^(٩١)، إذ لم يفرق في وعيده بين قتلة الأنبياء وقتلة الأولياء؛ لأنَّ العدوان عليهم عدوان على الله تعالى، لذا قال: {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ^(٩٢).

ومن هذا المنطلق أمر تعالى نبيه (ص) بتلاوة نبي أبي آدم (ع)، ليبين للناس العاقبة التي انتهت إليها القاتل، فقوله تعالى: {وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ

قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ { يدلُّ على أول جريمة قتل حدثت على وجه هذه البسيطة، إذ يكشف عن غريزة البشر التي جُبِلت على البغي والظلم والقتل، فتلاوة هذا النص يعدُّ أول موضوع قرآني يبين وجه الحكمة فيما شرَّعه تعالى من الأحكام على البغاة والقتلة، وأول حادثة بيَّنت احتياج الإنسان إلى الأحكام والتشريعات الرادعة له عن غيِّه وظلمه وجبروته^(٩٣).

أما قوله سبحانه: {لَنْ بَسَطْتُ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} يبين أنَّ الخوف من الله تعالى ومن عقابه هو من أعظم الروادع والحواجز عن ارتكاب الجريمة، في محاولة من القرآن الكريم لتعزيز استشعار الرقابة الإلهية في نفوس الناس. كما أنَّ قوله عزَّ وجلَّ: {إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ}، يكشف بجلاء أنَّ بعض المعاصي توجب كسب مظالم الغير، وتحمل تبعات من وقع عليه الظلم؛ لشناعتها وفضاعتها، بوصف أنَّها تتعلق بمقتل ولي من أولياء الله تعالى^(٩٤).

فهذه التفاصيل وغيرها تتدرج ضمن مفهوم بيان حكم الله تعالى فيمن قتل نبياً من الأنبياء، أو ولياً من الأولياء، أو رجلاً أمر بمعروف ونهى عن منكر، ليبين وجه الحكمة من تلاوة المقتل وتفاصيله في كتابه العزيز، فقد صار سبباً في تشريع قاعدة كلية في مطلق القتل التي فيها من الحكمة ما يستفيد منها جميع الناس، فقد قال تعالى بعد تلاوة مقتل هابيل: {مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا}^(٩٥)، أي من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلماً وعدواناً كتبنا على بني إسرائيل، أي شرعنا لهم، وأعلمناهم حكمنا فيمن قتل نفساً بغير سبب من الأسباب المشروعة، من قصاص، أو فساد في الأرض، الأمر الذي يكشف أنَّ لتلاوة المقتل موجبتها الموضوعية وما يستتبعها من الأحكام على الصعيد العقدي والفقهي معاً.

ثالثاً: فضح أفعال الظالمين والبراءة منهم:

من أبرز المبادئ الأساسية في الشريعة الإسلامية التي حظيت باهتمام بالغ وعناية فائقة مبدأ التولي والتبري، وينطلق هذا المبدأ من القرآن الكريم، فقد تفرعت جذوره على ما يقرب من العشرين سورة من سور القرآن الكريم توزعت على سبع وعشرين آية، شخّص خلالها القرآن الكريم مصاديق المتبرأ منهم، كأمثال:

المشركين، والوثنيين، ودعاة الضلال وما إلى ذلك من المصاديق، فمن تلك الآيات على سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ} (٩٦)، وهنا يجعل القرآن الكريم من إبراهيم (ع)، والذين معه قدوة مثلى، ومثلاً أعلى يحتذى به في التبري من اعداء الله تعالى.

ومنها أيضاً قوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٩٧)، فالمقصود من هذه الآية النهي عن موالاة من حارب الله ورسوله مهما بلغت درجة قربتهم، حتى لو كانوا من الآباء أو الأبناء أو الإخوان، لذا نرى الآية اثنت عليهم بالقول: {أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ}، أي صارت قلوبهم لا تحب إلا من أحب الله تعالى وأحبَّ رسوله وأوليائه، ولا تبغض إلا من أبغض الله تعالى ورسوله وأوليائه، وقد جاء التعبير بصيغة الخبر كي يكون أكد في التنفير من موالاة الظالمين.

ومن نظر إلى الإسلام بعينٍ فاحصة سيجده دين الحب في الله، ودين البغض في الله، ولازم ذلك محبة أوليائه والبراءة من اعدائهم، وهو ما ينسجم تماماً مع فطرة الإنسان، إذ لا يتصور أن نجد إنساناً سويّاً يحب الله تعالى ورسوله وأوليائه، ثم يحب في ذات الوقت أعداءه وأعداء أوليائه، لقوله تعالى: {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}، بمعنى أن قلب الإنسان السوي لا يتسع لاعتقادين متناقضين في آنٍ معاً، من هنا كان التنفير من اعداء الله تعالى وأعداء أوليائه من الأساسيات التي أوجبها الإسلام على اتباعه بوصفها تمثل حقيقة الإيمان، إذ لا يمكن أن تجتمع مودة أنبياء الله تعالى ومودة أوليائه إلى مودة قاتليهم في قلب إنسان سويٍّ ابداً؛ لأنَّه خلاف الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وعلى هذا الأساس جرى منهج القرآن الكريم في فضح مساوئ المجرمين والمفسدين بهدف التفير منهم، فقلوه تعالى: {وَأَنزَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا

لَرْفَعَنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ^(٩٨)، ظاهر في استحباب تلاوة كل ما فيه فضيحة المفسدين بهدف حمل الناس على البراءة منهم ومن اعمالهم، ثم اردفت الآية قائلة: {فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}، أي يتفكرون في هذا النبأ وغيره من قصص الأولين، وقد عبّر القرآن الكريم عنه بـ (النبأ)؛ لأن النبأ يعني "الخبر عن الأمر العظيم، ومنه اشتقاق النبوة"^(٩٩)، ليأخذوا منه العبرة والعبرة.

وضمن هذا المنهج يندرج ذكر مقاتل الأولياء في النص القرآني، فقلوه تعالى: {وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ آتِيَاهُ} آياتنا فأنسلخ منها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ...} نظير قوله تعالى: {وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ آتِيَاهُ} آدم بالحقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ...} فكلاهما ظاهر في استحباب تلاوة ما فيه فضح افعال الظالمين، ووجه التناظر بين النصين: أَنَّ القاتل في النص الأول عقد العزم على قتل وصي نبيِّ الله آدم (ع) وتمكن من ذلك، وفي النص الثاني تحول {الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا} من هذا الموقع إلى الموقع الذي يتحائل فيه من أجل قتل نبي الله موسى (ع)، لذا أمر تعالى نيَّه محمد (ص) بتلاوة تفاصيل هذا النبأ بهدف فضح ما قام به بلعم بن باعورا من التحايل في قتل نبيٍّ من الأنبياء، كما قام بفضح قابيل وفعلته الشنيعة.

وعليه فلا يمكن بحال فصل هذه المشاهد القرآنية عن مشاهد واقعة الطف، إذ أن تلاوة ما حلّ بالحسين وأهل بيته (ع) تهدف هي الأخرى لبيان بشاعة الجريمة، وفضح ما قام به اعداؤه من قتل، وحرق، ورضّ للأجساد، والأمر ذاته ينطبق على تلاوة ما حلّ بأصحاب الاخدود الذين قضوا حرقاً على يد الظالمين، فهو الآخر يندرج ضمن منهج فضح افعال الظالمين بهدف التفسير منهم ومن افعالهم، الأمر الذي حدا بأئمة أهل البيت (ع) اقتفاء اثر هذا المنهج القرآني في فضح افعال الظالمين ممن عقدوا العزم على قتلهم، فقد كتب الإمام الحسين (ع) إلى معاوية بن أبي سفيان فاضحاً فعله أمام الملأ قائلاً: "ألست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (ص) العبد الصالح الذي أبْلته العبادة فأنحلت جسمه، وصفرت لونه، بعدما أمنتَه واعطيته من عهود الله وموآثيقه ما لو أعطيته طائراً لنزل اليك من رأس الجبل، ثم قتلته

جرأة على ربك واستخفافاً بذلك العهد" (١٠٠)

وفي الكتاب ذاته يعمد الإمام (ع) إلى فضح افعال معاوية بقوله: "ألست قاتل حجر وأصحابه العابدين المختبئين، الذين كانوا يستقطعون البدع، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلماً وعدواناً، من بعد ما أعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة، جرأة على الله واستخفافاً بعهده" (١٠١)، مما يعني أن قتل هؤلاء المؤمنين كان نقضاً لعهد الله تعالى، وجرأة عليه.

ثم يعمد الإمام (ع) إلى فضح مثلبة أخرى من مثالب معاوية بقوله: "أولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد ثقيف فزعمت أنه ابن أبيك، وقد قال رسول (ص) الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة رسول الله تعمداً وتبعته هواك بغير هدى من الله، ثم سلطته على العراقيين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل، كأنك لست من هذه الأمة، وليسوا منك" (١٠٢).

ومن هنا كان هذا المنهج القرآني بارزاً في واقعة الطف فعد الإمام الحسين (ع) إلى فضح افعال ظالميه وغاصبي حقه بقوله: "أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكُوا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ، وَعَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِيءِ، وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ، وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ" (١٠٣)، في إشارة واضحة إلى بني امية الذين عبدوا الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، فكان بيدي استغرابه من خذلان هذه الأمة له بقوله: "أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون" (١٠٤)، فأراد القول كيف توالون هؤلاء بعد ما كشف لكم انحرافهم، وفضح أمرهم.

وهنا يظهر الإمام (ع) اقتفائه لهذا المنهج القرآني الفاضح لأفعال الظالمين، الأمر الذي يكشف بجلاء أن لتلاوة المقتل موجباته واسبابه الموضوعية؛ وذلك لما له من أثر في فضح افعال الظالمين ممن عمدوا إلى قتل الأنبياء وأولاد الأنبياء (ع) والمؤمنين من عباده بغير حق، سواء كان ذلك بالفعل أو بالرضا، بهدف حمل الناس على البراءة منهم ومن افعالهم.

الخاتمة:

يُعدُّ تخليد الأحداث والوقائع المرتبطة بالأمم الغابرة والأقوام البائدة سنةً من سنن القرآن الكريم، بوصف أنها مسوقة لتحقيق هدف تربوي، وإنَّ التذكير بها تذكيرٌ بأيام الله تعالى، وقد كان من بينها تلك الأيام التي تضمنت مقاتل الأنبياء والأولياء والصالحين (ع)، وقد توصل الباحث من خلال دراسة موضوع (تخليد مقاتل الأولياء في النص القرآني) إلى مجموعة من الثمرات والنتائج التي تمخضت عنها هذه الدراسة كان من أبرزها:

يجد الباحث بدءاً من التمهيد أنَّ مفهوم (الخلود، والتخليد) قد استعمل في معنى الدوام والبقاء، مع أنَّ معناه في اللغة ليس كذلك؛ فالخلود يعني: استمرار البقاء من وقت مبتدأ معيّن، أمّا الدوام فهو استمرار البقاء في جميع الأوقات، لذا يقال لله تعالى دائم الوجود ولا يقال له خالد الوجود.

١. تبين للباحث أنَّ (النبأ)، في القرآن الكريم يطلق على الخبر الذي له شأنٌ من الفائدة والجدارة بالاهتمام، فلا يقال لكل خبر نبأ، إلا إذا كان ذا أهمية كبيرة، والمصائب الحالة بالأنبياء والأولياء (ع) هي من الأنباء التي حظيت باهتمامات القرآن الكريم.

٢. توصل الباحث إلى حقيقة مفادها أنَّ تلاوة مقاتل الأنبياء والأولياء (ع) من السنن القرآنية التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من مورد.

٣. توصل الباحث أنَّ لتلاوة المقتل في القرآن الكريم موجباته على الصعيد العقائدي والفقهية؛ نظراً لاقتران تلك المصائب بالكفر بالله تعالى تارة، ونقض العهود والمواثيق تارة أخرى، فضلاً عن بيان حكم الله تعالى فيمن قتل ولياً من أوليائه.

٤. اتضح للباحث أنَّه لا يمكن بحال من الاحوال فصل مقاتل الأولياء التي استعرضها القرآن الكريم عن مشاهد واقعة الطف، إذ أنَّ تلاوة ما حلَّ بالحسين وأهل بيته (ع) لا تقل أهمية عما حلَّ بهابيل (ع)، واصحاب الاخدود ان لم نقل أنَّها فاقتها فداحة وشناعة، وأنَّ الحسين (ع) فاقهم شرفاً ومنزلةً ومكانةً.

٥. يجد الباحث أنَّ فضح افعال الظالمين والمنافقين وقتلة الأنبياء وأولاد الأنبياء (ع) هو مسلك قرآني اعتمده القرآن الكريم بهدف تعرية الظالمين وكشف حقائقهم للناس غايته التنفير منهم ومن افعالهم.

الهوامش:

- (١) ظ: لسان العرب، ابن منظور، ١٦٥/٣، ظ: مختار الصحاح، ١٠٣.
- (٢) الواقعة، ١٧.
- (٣) تاج العروس، الزبيدي، ٤/ ٤٣٧.
- (٤) المقصود هو محمد بن السائب الكلبي، (ت ٢٠٤هـ) العالم النسابة الراوية المشهور، الذي ضبط علم الأنساب فقد صنف فيه خمسة كتب: المنزلة، والجمهرة، والوجيز، والفريد، والملوك، ثم اقتفى أثره جماعة" ظ: الانساب، السمعاني، ١/٥، ظ: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الذهبي، ٣/٥٥٦.
- (٥) ظ: تاج العروس، الزبيدي، ٤/ ٤٣٧.
- (٦) الاعراف، ١٧٦.
- (٧) ظ: الصحاح، الجوهري، ٢٠٨.
- (٨) النساء، ١٤.
- (٩) مجمع البيان، الطبرسي، ٣/ ٣٩.
- (١٠) ال عمران، ٩٣.
- (١١) لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ١٦٤.
- (١٢) ظ: المصدر نفسه، ٣/ ١٦٤.
- (١٣) التحقيق في كلمات القرآن، حسن مصطفوي، ٣/ ٩٩، ظ: الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري، ٢٢٦.
- (١٤) ظ: الفروق اللغوية، ابن هلال العسكري، ٢٢٦.
- (١٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ١٥٤.
- (١٦) البقرة، ٨٢.
- (١٧) ظ: التبيان، الطوسي، ٥/ ٤٦٧.
- (١٨) البقرة، ٣٩.
- (١٩) ظ: التبيان، الطوسي، ٤/ ٣٩٣.
- (٢٠) الواقعة ١٧.
- (٢١) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١١/ ٢٣.
- (٢٢) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ١٣/ ١٨.
- (٢٣) المصدر نفسه، ١٣/ ١٨.

- (٢٤) المائدة، ٣.
- (٢٥) المائدة، ٢٧ - ٣١.
- (٢٦) الأمتل، الشيرازي، ٦٧٨ / ٣.
- (٢٧) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ابن كثير، ٤٣ / ٢، المعارف، ابن قتيبة الدينوري، ١٧.
- (٢٨) تفسير العياشي، العياشي، ٣١٢ / ١، بحار الأنوار، المجلسي، ٢٢٧ / ١١.
- (٢٩) بحار الأنوار، المجلسي، ٢٤٠ / ١١.
- (٣٠) ظ: الكافي، الكليني، ١١٤ / ٨.
- (٣١) مريم، ٣٢.
- (٣٢) مريم، ١٤.
- (٣٣) علل الشرائع، الصدوق، ١ / ١٩، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٣٦٦ / ٢٠.
- (٣٤) ظ: علل الشرائع، الصدوق، ١ / ١٩، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٣٦٦ / ٢٠.
- (٣٥) ظ: علل الشرائع، الصدوق، ١ / ١٩، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ٣٦٦ / ٢٠.
- (٣٦) ظ: عاشوراء رؤية قرآنية، قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٦، ٢٧.
- (٣٧) المصدر نفسه، ٢٢.
- (٣٨) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ١٨٦ / ١١.
- (٣٩) ظ: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٨، ١٣٤.
- (٤٠) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ١٨٧ / ١١.
- (٤١) ظ: اقتضاء السراط المستقيم، ابن تيمية، ٢٩٣، ٢٩٤.
- (٤٢) مفاهيم القرآن الكريم، جعفر سبحاني، ٥٣٢ / ١، ٥٣٣.
- (٤٣) ظ: ذخائر العقبى، الطبري، ١٤٥، و ١٥٠، تاريخ دمشق، ابن عساكر، ٣٣٩ / ٤، الصواعق المحرقة، ابن حجر، ١١٦ / ١٩٢، الخصائص الكبرى، السيوطي، ١٢٦، ينابيع المودة، القندوزي، ٣٢٠، و ٣٥٦، تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي، ٢٨٤.
- (٤٤) البروج، ٤ - ٨.
- (٤٥) عبس، ١٧.
- (٤٦) الذاريات، ١٠.
- (٤٧) ظ: التفسير الكبير، الرازي، ٣١ / ١١٩، الميزان، الطباطبائي، ٢٠ / ٢٥١.

- (٤٨) الميزان، الطباطبائي، ٨٣ / ٢٠.
- (٤٩) البروج، ١، ٢، ٣.
- (٥٠) ظ: الصحاح، الجوهري، ٤٦٨ / ٢.
- (٥١) ظ: عاشوراء رؤية قرآنية، العتبة الحسينية، قسم الشؤون الفكرية، ٢٧، ٢٨.
- (٥٢) دلائل النبوة، الاصبهاني، ٤٥٦ / ٦، البداية والنهاية، ابن كثير، ٦٠ / ٨.
- (٥٣) ظ: دلائل النبوة، الاصبهاني، ٤٥٦ / ٦.
- (٥٤) الأبيات للشاعر بشر بن حنمل، من أصحاب الإمام السجاد(ع) ومن شعراء صدر الإسلام، رافق الإمام من الشام ولما قرب المدينة دخلها بأمر الإمام السجاد (ع) ليندب الإمام الحسين (ع) ، وقد اختلف في اسمه بين: بين بشر بن حنمل، وبشير بن حنمل، وبشر بن حنمل، وبشير بن حنمل، ظ: اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، ١ / ٢٢٦، اعيان الشيعة، محسن الأمين، ٥٨٢ / ٣.
- (٥٥) الشمس، ١٥.
- (٥٦) هود، ٦٤.
- (٥٧) الاعراف، ٧٣.
- (٥٨) ظ: الكافي، الكليني، ١٦٨ / ٨.
- (٥٩) الشمس، ١ - ١٣.
- (٦٠) عاشوراء رؤية قرآنية، قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدسة، ٣٨.
- (٦١) الشمس، ١٤، ١٥.
- (٦٢) ظ: عاشوراء رؤية قرآنية، قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدسة، ٢٩ - ٣٨.
- (٦٣) مقاتل الطالبين، ابو الفرج الاصفهاني، ٦٠.
- (٦٤) الاصابة، ابن حجر، ١ / ٢٧١.
- (٦٥) صحيح البخاري، البخاري، ٨٣ / ٢، السنن الكبرى، البيهقي، ٦٤ / ٤.
- (٦٦) يوسف، ١١١.
- (٦٧) صحيح مسلم، مسلم، ٥٧ / ٨.
- (٦٨) تفسير القمي، القمي، ٤١٣ / ٢، بحار الأنوار، المجلسي، ٢٤٩ / ٩.
- (٦٩) المائدة، ٣٢.
- (٧٠) الأمثل، الشيرازي، ٦٨٧ / ٣.

- (٧١) سنن النسائي، النسائي، ٣ / ٧٣.
- (٧٢) النساء، ٩٣.
- (٧٣) ال عمران، ٢١، ٢٢.
- (٧٤) ال عمران، ٢٠.
- (٧٥) التفسير الكبير، الرازي، ٧ / ٣٣٠.
- (٧٦) ظ: المصدر نفسه، ٧ / ٣٣٠.
- (٧٧) كنز العمال، المتقي الهندي، ٣ / ٧٥.
- (٧٨) هود، ٨٨.
- (٧٩) تهذيب الاحكام، الطوسي، ٦ / ١٨٠.
- (٨٠) المائدة، ٧٨، ٧٩.
- (٨١) تخريج الاحاديث، الزيلعي، ١٧٨.
- (٨٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٧ / ٣٣٠.
- (٨٣) تحف العقول، ابن شعبة الحراني، ١٦٨.
- ٨٤ سنن الترمذي، الترمذي، ٥ / ٣٣٤، كامل الزيارات، ابن قولويه، ١١٦.
- (٨٥) البقرة، ٢٤٧.
- (٨٦) البقرة، ٣٠.
- (٨٧) الأنبياء، ٧٣.
- (٨٨) السجدة، ٢٤.
- (٨٩) الانعام، ٧٥.
- (٩٠) ال عمران، ١١٢.
- (٩١) ال عمران، ٢١، ٢٢.
- (٩٢) المائدة، ٣٤.
- (٩٣) ظ: مواهب الرحمن، السبزواري، ١١ / ٢٠٨.
- (٩٤) ظ: المصدر نفسه، ١١ / ٢٠٨.
- (٩٥) المائدة، ٣٢.
- (٩٦) الممتحنة، ٤.

(٩٧) المجادلة، ٢٢.

(٩٨) الاعراف، ١٧٥، ١٧٦.

(٩٩) مجمع البيان، الطبرسي، ٤/ ٣٩٣.

(١٠٠) لاحتجاج، الطبرسي، ٢/ ٢٠، بحار النوار، المجلسي، ٤٤/ ٢١٢.

(١٠١) لاحتجاج، الطبرسي، ٢/ ٢٠، بحار الأنوار، المجلسي، ٤٤/ ٢١٣.

(١٠٢) لاحتجاج، الطبرسي، ٢/ ٢٠، بحار الأنوار، المجلسي، ٤٤/ ٢١٣.

(١٠٣) تاريخ الطبري، الطبري، ٧/ ٣٠٠، الكامل، ابن الأثير، ٤/ ٤٨.

(١٠٤) تحف العقول، بن شعبة الحرّاني، ٢٤٠.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم.

١. لاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: تعليق وملاحظات: محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
٢. الإصابة في تمييز الصحابة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، ١٤١٥هـ.
٣. الأعلام، خير الدين الزركلي (ت ١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط/٥، ١٩٨٠م.
٤. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د. ت.) .
٥. الأغاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد المعروف بأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، (د. ت.) .
٦. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، (د. ت.) .
٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (د. ت.) .
٨. الانساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت - لبنان، ط/١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٩. بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٠. البداية والنهاية، اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شبري، دار احياء التراث العربي، ط/١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١١. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، (ت ٢٠٥هـ)، تحقيق: علي شبري، دار الفكر بيروت، ط/١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٢. تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: نخبة من العلماء، ط/٤، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.
١٣. تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة المعروف بـ (تذكرة الخواص) سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، تحقيق: الشيخ حسين تقى زاده، مركز الطباعة و النشر لمركز أهل البيت (ع)، ط/١، ١٤٢٦هـ.
١٤. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن المعروف بأبن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: علي شبري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤١٥هـ.
١٥. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: وتصحيح: أحمد حبيب قصير العامل، مكتب الإعلام الإسلامي، ط/١، ١٤٠٩هـ.
١٦. تحف العقول، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني (ق ٤)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجامعة المدرسين في قم، ط/٢، ١٤٠٤هـ.
١٧. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط/١، ١٤١٧هـ.
١٨. تخريج الاحاديث، الزيلعي (ت ٧٦٢هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط/١، ١٤١٤هـ.
١٩. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، (د ت).
٢٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢١. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، (ت ٣٢٩هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - ايران، (د ت).
٢٢. التفسير الكبير، (تفسير الرازي)، محمد بن عمر بن الحسن المعروف بفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ط/٣، (د ت).
٢٣. تهذيب الأحكام، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخراساني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط/٤، ١٣٦٥ ش.

٢٤. الخصائص الكبرى، جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الكتب الحديثة، (د. ت).
٢٥. دلائل النبوة، ابو نعيم الاصبهاني (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البرعباس، دار النفائس، بيروت لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢٦. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، احمد بن عبد الله الطبري (ت ٦٩٤هـ)، ١٣٥٦هـ.
٢٧. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الفكر، (د. ت).
٢٨. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٩. شرح صحيح مسلم، يحيى بن شرف الحزامي النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٠. سنن الترمذي، الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط/٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣١. الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري، (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط/٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٣٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، ١٤٠١هـ.
٣٣. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤هـ)، خرج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، القاهرة - مصر، ط/٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٣٤. عاشوراء رؤية قرآنية، قسم الشؤون الفكرية، العتبة الحسينية المقدسة، ط/٢، ١٤٣٤هـ.
٣٥. علل الشرائع، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م.
٣٦. الفروق اللغوية، ابن هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، ط/١، ١٤١٢هـ.
٣٧. الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط/٥، ١٣٦٣ش.
٣٨. الكامل، عز الدين أبي الحسن علي أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

٣٩. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، ط/١، ١٤١٧هـ.
٤٠. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، ط/٢، ١٤٠٩هـ.
٤١. كنز العمال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق: صفوة السقا، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٤٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، (ت ٧١١هـ)، نسقه وعلق عليه ووضع فهرسه: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط/٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٣. اللهوف في قتلى الطفوف، السيد علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، ط/١، ١٤١٧هـ.
٤٤. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: تعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط/١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٤٥. مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر الجوهري (ت ٧٢١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط/١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٤٦. المعارف، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر - القاهرة، ط/٢، ١٩٦٩م.
٤٧. مفاهيم القرآن الكريم، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط/١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
٤٨. مفردات غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، ط/٢، ١٤٠٤هـ.
٤٩. مقاتل الطالبين، ابو الفرج الاصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: كاظم المظفر، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، قم - ايران، ط/٢، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.
٥٠. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الاعلى السبزواري (ت ١٤١٢هـ)، منشورات دار التفسير، قم - ايران، ط / ٥، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
٥١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط/١، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
٥٢. الميزان في تفسير القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي، (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ت).
٥٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة، قم المقدسة، ط/٢، ١٤١٤هـ.
٥٤. ينابيع المودة، سلمان بن إبراهيم القندوزي (ت ١٢٩٤هـ)، تحقيق: علي جمال أشرف، دار أسوة للطباعة والنشر، ط/١، ١٤١٦هـ.

